اصل المرافع ووصفها

جرى في القاهرة والاسكندريّة في اواسط الشهر الماضي احتفالان عظيمان شاهدهما اكثر السكان على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وهما احتفالا المرافع . وقد طلب الينا البعض ان نثبت في المقتطف ما يعلم من تاريخ المرافع وسبب الاحتفال بها على هذه الصورة واجابةً لذلك نقول

يراد بالمرفع عند نصارى المشرق اليوم الذي قبل ايام الصوم وهم يأكلون فيهِ افخر المآكل ويشربون اطيب المشارب كلٌّ على حسب طاقتهِ ولم نعهد انهم كانوا يحتفلون بهِ كما يفعل الاوربيون . ولعلهم سمّوا ذلك اليوم مرفعًا لانهم يرفعون يدهِ عن اكل اللحم . اما الاوربيون ولاسيما اهالي ايطاليا فيحتفلون بالمرفع احتفالاً بهيجًا ثمانية ايام قبل الصوم الكبير الذي يسبق عيد الفصح والظاهر ان هذه العادة مقتبسة من الرومانيين القدماء الذين كانوا يعيدون مرتين في السنة لاله الخمر مرةً في الصيف ومرةً في الشتاء وكان احد احتفالاتهم يقع في الوقت الذي يقع فيهِ المرفع الآن وكان منهرج عظيم للمدن الكبيرة ولاسيما لرومية ام مدائن ايطاليا فيتقاطر الناس اليها من كل الاقطار ويكثر فيها البيع والشراء فلم يرَ المسيحيون ان يبطلوا ذلك الاحتفال تمامًا بل حوّلوهُ عن غرضهِ الاصلي وابطلوا صبغتهُ الوثنيّة وجعلوهُ من جملة الاحتفالات الدينيّة مع ان بعض الاعمال التي تعمل فيهِ لا يستحسنها كثيرون من ائمة الديانة

وتعزّز شأن المرافع في رومية في اواسط القرن الخامس عشر وفُرض على اليهود الذين فيها ان يدفعوا كل سنة الفًا ومئةً وثلاثين فلوريًنا من الذهب للمحتفلين بالمرافع . وبلغت هذه الاحتفالات منتهى عظمتها سنة ١٥٤٥ بالسباق والسخر . والسباق قديم العهد جدًّا وكان يجري كل يوم من ايام المرافع ولكن السخر البهج منهُ وبها تقوم بهجة المرافع ولاسيما اذا اجاد اصحابها في تمثيل كل الاعمال على اسلوب مضحك

والآن لا تسير الاحتفالات على اسلوب واحد في كل ايام المرافع ففي احد الايام تسير المركبات الفاخرة وهي بالغة زينة تروق النواظر وتسر الخواطر فترشق بالازهار من البيوت والاروقة والشرفات ولا يسمح ان ترشق بسواها . وفي غيرهِ تسير السخر فترشق بحبوب من الجبس تشبه حبوب اللوبياء شكلاً ولونًا تصنع لهذه الغاية وهي بدل الملبّس الذي كان يرشق بهِ المحتفلون في الازمنة الغابرة قبلما كثر ورد اهالي الشمال الى رومية على ما يقولهُ اهلها

واحتفالات المرافع تكون على ابهجها في مدينة رومية ويتلوها في ذلك مدينة فينيسيا (البندقية) ولكن يظهر لنا مما قرأناهُ في وصفها انها لا تفوق الحفلتين اللتين جرتا عندنا في

الشهر الماضي وهاك وصفها ملخصاً مما نشرناهُ عنها في المنطم

حفلة الاسكندرية

سارت حفلة المرفع في الاسكندريّة يوم الاحد في الثاني عشر من الشهر على الاسلوب الآتي

اولاً شجانة من العرب يضربون الطبول . ثانياً موسيقى يونانيّة قديمة . ثالثاً فرقة من الجند اليوناني بايديهم الحراب . رابعاً فرقة من الحرس اليوناني الفرسان ممتطين الجياد المطهمة الشهباء وعليها السروج الحمراء وبايديهم الحراب . خامساً مركبة الاسكندر الكبير يجرها جودان ويسوقها الاسكندر . سادساً بعض المركبات وفيها اناس قد تزيوا بازياء مختلفة . سابعاً برج بابل . ثامناً الطائر الخرافي المدعو طائر الرخ وهو باسط جناحيهِ على بيضهِ وقد نقب بعضهُ وخرجت منهُ فراخ الرخوخ . تاسعاً مركبات عديدة بازياء مختلفة عاشراً مركبة كليوبترا ملكة مصر امامها الخدم والحشم وهي مضطجعة على اريكة من الحرير الازرق والى جانبيها جاريتان بايديهما المراوح من ريش النعام وهي تحيي الجمع . حادي عشر شجرة قد علاها الكورلا وهو نوع من القرود وهو يبدي من الحركات المضحكة ما اضحك الجمهور ثم المركبات العديدة لكثيرين من لابسي المساخر

اما شارع شريف باشا والمنشيّة وشارع توفيق فقد اكتست ارضها ثوباً بديع الالوان بين احمر وابيض واصفر وبنفسجي من قصاصة الورق التي كانت تلقى من الشرفات والنوافذ ومن الملبس الذي كان الناظرون يرشقون بهِ لابسي المساخر . وقد سار الموكب من امام معمل عيدان الفسفور الى شارع النزهة فشارع شريف باشا فالمنشيّة وبعد ان طاف بالمنشيّة سار في شارع توفيق ثم مال الى شارع شريف باشا وطاف طوفتهُ الاولى في المنشيّة وعاد الى شارع توفيق فشارع النزهة وارتد الى حيث خرج اولاً

وفي مساء ذلك اليوم اقيم في حديقة المنشيّة الالعاب النارية الباهرة وارسلت الاسهم الناريّة تشق كبد السماء وكانت الانوار الكهربائيّة تتلألأ في جوانب المنشيّة فتخال الليل نهاراً وقد ارسلت اشعتها على المياه المنبعثة من انابيب الماء على بعد شاسع فتتلألأ كالحجارة الكريمة بين لؤلؤ وزبرجد وياقوت وصفير والماس مما يقف الطرف عندهُ حاسراً

حفلة القاهرة

جرت حفلة المرافع في القاهرة يوم الثلاثاء في الرابع عشر من الشهر وكان المرء كيفما جال في المدينة رأى الناس يخطرون في الاسواق والشوارع بالثياب المنمقة والوجوه المزوقة او الاطمار البالية واللحى العارية الى غير ذلك من السخر والاضاحيك التي تروق النواظر وتشوق الخواطر وما اتى ظهر اليوم حتى رأينا المدينة باسرها قد انتقلت الى شارع عابدين

وشارع وجه البركة والناس قد ازدحموا في الشرفات والنوافذ والدكات التي نصبت على قارعة الطريق ينتظرون مرور الموكب الكبير الذي هيأته لجنة المرافع وكان الازدحام على معظمهِ في ساحة الاوبرة الخديويَّة حيث ضربت السرادقات الكبيرة والقباب المزخرفة وفي صدرها سرادق رفيع العماد جلس فيهِ الجناب الخديوي المعظم ومن حولهِ حضرات نظارهِ الكرام ورجالهِ الفخام وعلى مقربةٍ منهُ دكة عالية للموسيقى الانكليزيَّة ووراءهُ الموسيقى المصريَّة في شرفة الاوبرة الخديويَّة حتَّى اذا كانت الساعة الواحدة ونصف بعد الظهر سار الموكب من ساحة عابدين وفي طليعتهِ الموسيقى العسكريَّة ووراءها مركبة صغيرة يجرها جواد كميت وقد زينت بالورد والرياحين ووراءها مركبة كبيرة تمثل دخول الاسكندر المكدوني المرافئ المصريَّة ثم مركبة فيها اناس يزيفون النقود ثم ركبٌ من الوطنيين على الجمال يضربون الطبول ثم هوادج تجرُّها النياق ووراءها مركبة كبيرة تجرُّها خيول مسرجة بالسروج البيضاء وتليها مركبة يمثل ركابها اهل اليابان بازيائهم الغريبة ثم مركبة للمشتغلين بفن الهندسة ووراءها مركبة فيها نصب كبير يمثل اله النيل وهو ضخم الجثة ناصع البياض وقد اشتعل رأسهُ شيبًا واسترسل شعرهُ الطويل على كتفيهِ والى يمينهِ ويسارهِ نخلتان باسقتان وبين قدميهِ تمساح واسع الشدق هائل الخلق . وتلي ذلك مركبة بديعة ضفرت فيها اكاليل الازهار والرياحين ثم مركبة تمثل فصل الربيع بحسنهِ وبهجتهِ ووراءها مركبة تمثل سكة الحديد من اسيوط الى جرجا وعمالها فيها . ثم مركبة كبيرة قد طلع فيها نبات القطن واخصب زرعهُ وجمع جانبٌ منهُ في اكياس جلس الناس حولها يضربون آلات الطرب فرحين مستبشرين بخصب زراعتهم . وخلفها مركبة يسوقها رجل قصير القامة كانهُ من قزامى افريقية ووراءها مصباح كبير من مصابيح الغاز و يتلوها عمال الغاز يحملون بايديهم العصي التي ينيرون بها المصابيح . ثم مركبةٌ يجرها بغلٌ و يسوقها رجلٌ قد لبس ثوبًا كتبت عليهِ اسماء الجرائد الوطنيَّة وفي وسطها رجل قد لبس البرقير الاحمر . وبعدها مركبةٌ قد نصب فيها ميزانٌ في أعلى قائمتهِ رأس ثور يزن حظوظ الناس وقد وضع المال في احدى كفتي الميزان والعلم في الكفة الاخرى فرجحت كفة المال على كفة العلم وكتب على المركبة عبارةٌ معربها ان اوقيَّةً من المال تساوي اكثر من مئة مجلد . وفي ختام الكل مركبة كبيرة تمثل هرم الجيزة بكبرهِ وضخامتهِ . وتلي هذا الموكب مركبات عديدة فيها اناسٌ مختلفو الهيئات والازياء . ولم يبقَ احدٌ من الناس الاَّ امتلأت جيوبهُ وارديتهُ بالثمار الذي كان يتساقط كالامطار وهو من الحمص والملبس والفول وحبوب اللوبياء وكانما قامت حربٌ بين الجماهير نادى فيها المنادي عن رصاص البنادق